

التأهيل النفسي والاجتماعي للجانحين - دراسة استقصائية -

— توطئة.

١ — الأسئلة أو المسائل المطروحة.

أ — من هو الجانح في سورية؟

ب — ما المقصود بالتأهيل النفسي الاجتماعي للجانحين؟

ج — ما الحاجات النفسية اللازمة لعملية التأهيل وما طرائق إشباعها؟

٢ — ما الإجراءات العملية اللازمة لتأهيل الجانحين من الناحيتين النفسية والاجتماعية؟

— المنحى الوقائي.

— المنحى العلاجي.

— المنحى المهني التنموي.

— كلمة أخيرة.

— المراجع المعتمدة.

توطئة

يعد الجنوح مشكلة نفسية اجتماعية، يمكن أن تؤثر على الفرد والمجتمع الذي يعيش فيه تأثيراً خطيراً، إن لم نتداركها، وذلك من خلال ما يترتب عليها من آثار ونتائج سلبية على الصعيد كافة، الأخلاقية، والتربوية، والاجتماعية، والاقتصادية

وتعد ظاهرة الجنوح ظاهرة قديمة، تزامن وجودها مع وجود الإنسان والمجتمعات الإنسانية عموماً، وقد استنكر الفيلسوف الإنكليزي (جون لوك) منذ أكثر من /300/ عام وجود هذه الظاهرة، لا بل أن أحد الكهنة المصريين أعلن منذ أكثر من /600/ عام أن عالمنا مقل على الانحطاط والانحلال، وأن أول مظاهر هذا الانحلال عدم طاعة الأبناء لأبائهم (Mussen, 1979, 525).

وحقيقة الأمر، أن هذا المفهوم المتداول للحدث الجانح مفهوم قانوني، أكثر منه سيكولوجي نفسي، لأن من يعد جانحاً في زمان ومكان معينين، قد لا يعد كذلك في أزمته وأمكنة أخرى، أي أن تحديد الفترة الزمنية لبداية الجنوح ونهايتها تختلف من بلد إلى آخر، وربما من زمن إلى آخر.

ويمكن تعريف الجانح، بأنه الشخص الذي يزيد عمره عن سبعة أعوام، ويقل عن ١٨ عاماً، ويقوم بأعمال ومخالفات وسلوكات مضادة للمجتمع، وخارجة على القانون مثل: السرقة والتخريب والنشل والإدمان، والكذب والنصب والاحتيال والهروب من المدرسة أو المنزل، وغيرها من الأمور ... التي لو قام بها شخص عمره يزيد عن ١٨ عاماً لعوقب بالسجن (عن حسن، 1987، 99، والحلي، 2000، 433).^(١)

وللجنوح أسباب عديدة، يأتي في مقدمتها التنشئة الاجتماعية الخاطئة التي تتمثل في الصراعات والخلافات الأسرية الدائمة والعنيفة، واضطراب العلاقات بين الأبوين، وبالتالي بينهما وبين الأبناء، حيث يدخل الأبناء حلبة الصراع ويميلون أو ينحازون لطرف دون آخر كما تتجلى في أساليب المعاملة الوالدية الخاطئة للأبناء مثل نبذ الطفل والقسوة عليه أو تدليله

(١) كلمة تنير إلى الأخذ بالفكرة وليس العبارة بشكل حرفي.

وحبه الزائد أو إهماله، أو مقارنته بأخته وأخيه وتفضيل أحدهما على الآخر، أو غير ذلك من الأمور التي من شأنها أن تنفر الحدث من أسرته ومن منزله، وتجعله يفكر في الهروب واللجوء إلى أماكن خارجية يعتقد أنه سيشعر فيها بشيء من الأمان، ويجد فيها بعض اللذة أو الراحة التي لم تستطع الأسرة أن توفرها له.

وقد أدركت الدول المتحضرة أهمية الاهتمام بالنشء فسعت وتسعى دائماً إلى توفير المناخ النفسي والاجتماعي الملائم لهم، كي يشبوا في بيئة آمنة تستحث ما لديهم من إمكانات وقدرات كامنة، وتعمل على شحذها وتحريضها عن طريق الإشباع المناسب لحاجاتهم النفسية والاجتماعية، وتوفير البرامج النفسية والتربوية والمناخ المناسب لاستثمار طاقاتهم، على نحو يضمن تنشئة سوية لهم، ويضمن لدولهم بالتالي إمكانية اللحاق بالانفجار المعرفي والتقدم الحضاري الآخذ في التسارع وتحقيق ما تنشده شعوبهم من تقدم ورفاهية (الأحمد، 2001، 85).

من هو الجاني في سورية:

يحدد قانون الأحداث رقم 18/ عام 1974/ المعمول بسه في الجمهورية العربية السورية أن الحدث هو: كل ذكر أو أنثى لم يتم الثامنة عشرة من عمره (المادة 1). ويشمل جنوح الأحداث فئتين من السلوكات، الأولى سلوكات تعد جرمًا يعاقب عليه القانون حين يفعله الكبار، أي الذين يعتبرهم القانون راشدين، والثانية فئة من الأعمال، تعتبر سلوكاً لا اجتماعياً حين يقوم به الأحداث لأنه لا يتناسب مع مستوى نضجهم وتحملهم المسؤولية، ويعود ارتكاب السرقة إلى الفئة الأولى، بينما يُعدُّ الهروب من البيت والمدرسة والإصرار على مرافقة عصابة الأشرار من الفئة الثانية (الرفاعي، 1979، 227، 228).

ولكن ثمة شرطاً يجب أن يراعى في مثل هذا التحديد، وهو مسألة التكرار والاستمرارية، فالسلوك لا يسمى جنوحاً إلا إذا تكرر مرات عديدة، وتطور نحو الأسوأ.

ومن هنا، يمكن اعتبار جنوح الحدث سوء تكيف سببته تركيبة عوامل، منها عوامل شخصية تتناول استعدادات الفرد وميوله، وتلعب العوامل الفيزيولوجية والوراثية دوراً هاماً فيها، وعوامل اجتماعية وثقافية تتناول بيئة الطفل أو المراهق، ومجاله الحيوي الاجتماعي، مثل الأسرة والمدرسة والرفاق وسواهم، وعوامل اقتصادية تتناول الظروف المعاشية للحدث من

مأكل وملبس ومسكن يضاف إلى ذلك ما يمكن أن يتعرض له بعض الأحداث ممن إعاقة وقمع لحاجاتهم، وعدم إشباعها بشكل مناسب، وهذه العوامل والظروف يمكن أن تؤدي في مجملها إلى مزيد من الإحباطات والصراعات، وبالتالي إلى الانحراف والحيثد عن السواء، وصولاً إلى الجنوح، الذي يتجلى في سوء تكيف الشخص، والخروج على معايير الجماعة ومرجعياتها، إضافة إلى الخروج على القوانين العامة، ومخالفتها، والإتيان بسلوكات شاذة ومضادة للمجتمع.

ما المقصود بالتأهيل النفسي والاجتماعي للجانحين؟

إذا كان الجنوح يعني سوء تكيف على الصعيدين النفسي والاجتماعي، فإن تأهيل الجانح نفسياً واجتماعياً يجب أن يعني، العمل من تمكينه من استعادة تكيفه من جديد إلى أن يحقق التكيف السوي مع ذاته ومجتمعه.

ويتطلب التكيف النفسي السوي للجانح، إعادة بناء مفهوم جديد وصحيح لذاته، ومساعدته على بناء مهارات التواصل الإيجابي معها، وإعادة توكيد الذات لديه وتقديرها، وذلك من خلال إشباع حاجاته النفسية الأساسية والملحة، مثل الحاجة إلى الحب والأمن والاستقرار.

أما التأهيل الاجتماعي فهو على غرار النفسي يعني إعادة بناء مفهوم صحيح للآخرين عن الجانح، ومساعدته على بناء مهارات التواصل الإيجابي معهم، والشعور بالانتماء لديهم والعمل من أجل سعادتهم، وذلك من خلال إشباع الحاجات الاجتماعية الأساسية، مثل الحاجة إلى الانتماء، وإنشاء علاقات طيبة ومفيدة مع الآخرين وتجنب كل ما من شأنه أن يؤدي إلى صراعات وعلاقات سلبية.

وسأتناول هذه الحاجات التي يعد إشباعها جزءاً لا يتجزأ من متطلبات التأهيل الذي يقوم به متخصصون نفسيون وتربويون واجتماعيون بشيء من التفصيل.

الحاجة إلى إعادة بناء مفهوم إيجابي للذات لدى الجانح:

يتكون مفهوم الذات من أفكار الفرد الذاتية المنسقة المحددة الأبعاد عن العناصر المختلفة لكيونته الداخلية والخارجية، وتنعكس إجرائياً في وصف الفرد لذاته كما يتصورها هو (الذات المركبة) Perceived Self والذات الاجتماعية Social Self التي يعتقد أن الآخرين يتصورونها، والتي يتمثلها الفرد من خلال التفاعل الاجتماعي مع الآخرين، والذات المثالية Ideal Self التي تحدد الصورة المثالية للشخص الذي يود أن يكون.

ووظيفة مفهوم الذات وظيفة دافعية، وتكامل وبلورة لعالم الخبرة المتغير الذي يوجد الفرد في وسطه، ولذا فإنه ينظم ويحدد السلوك، ويؤمن (روجرز) بأن أحسن طريقة لإحداث التغيير في السلوك تكون بأن يحدث التغيير في مفهوم الذات (عن زهران، 1977، 258 والأحمد، 2000، 2).

فما هي الذات المدركة عند الجانح؟ وكيف يدرك الجانح ذاته؟

يدرك الجانح ذاته بشكل غير صحيح، فإما أنه يدركها على أنها أقل أو أسوأ من حقيقتها من حيث الإمكانيات والاستعدادات والرغبات والميول، وإما أن يدركها على أنها أفضل من حقيقتها بكثير، فقد تكون إمكانياته الجسدية والعقلية بل وحتى المادية محدودة وقاصرة ولكنه يراها عالية جداً، أو يرغب في أن تكون كذلك، وفي الحالتين هناك تقويم خاطئ ونظرة خاطئة للذات، والمطلوب منه إعادة تغيير هذه النظرة، ورؤية ذاته وإمكانياته كما هي أو أقرب ما تكون إلى حقيقتها، ولا بأس في أن تحيد هذه النظرة قليلاً نحو الأدنى أو الأعلى، ولكن لا أن تكون بعيدة كل البعد عن الواقع، فتحدث لدى الشخص نوع من الانفصال والاغتراب عن ذاته وعن عالمه الواقعي، وهناك دلائل عديدة تشير إلى إمكانية حدوث مثل هذا الانفصال، كانت أشارت إليها هورني، منذ فترة طويلة وتتجلى فيما يلي:

- تعطل القدرة العامة للخبرة الشعورية، حيث يعيش الفرد كما لو كان في ضباب، لاشيء واضح بالنسبة له سواء فيما يتعلق بأفكاره ومشاعره عن نفسه أو عن الآخرين.
- يحدث في الغالب نوع من التناقض في الوعي لدى الشخص، أو تركيز الاهتمام على الجسم وحاجاته أو الممتلكات المالية كالبيت والسيارة.

أما العوامل المسؤولة عن عملية الانفصال فهي:

— التحركات الإيجابية بعيداً عن الذات الحقيقية، كالدافع إلى الجهد، والسعي إلى الالتزام بمثل أعلى غير ممكن التحقق.

— التحركات السلبية ضد الذات الحقيقية، كما في كراهية الذات والعمل على تخطيمها.

— نشوب الصراعات العصائية الشديدة التي يمكن أن تؤدي إلى العدوان والانفصال عن الذات وعن الآخرين (فهيمى، 1979، 83 - 74).

أما النتيجة التي يؤول إليها هذا الانفصال فتتحلى كما ترى (هورني) في أن تصبح علاقة الشخص متعبة، غير صحيحة، وغير شخصية، ولا يوجه الشخص هنا سلوكه تبعاً لحاجاته ورغباته، بل تبعاً لحاجات شخص آخر خارج عن ذاته هذا الانفصال عن الذات يشكل مناخاً حقيقياً لحدوث الجنوح، ويؤدي إلى تكوين مفهوم سلبى لدى الشخص عن ذاته.

أما متطلبات بناء مفهوم إيجابى للذات فتتمثل في العمل على التخلص من هذه الخصال والمؤثرات التي أدت إلى الانفصال والعمل على ما يلي:

١ — تبصير الجانح بذاته، وتعريفه إمكانياته الحقيقية، والتخلص من الحالة الضبابية التي

يعيشها، بحيث تصبح أفكاره ومشاعره عن نفسه مطابقة للواقع أو قريبة من الواقع.

٢ — إعادة بناء مفهوم حقيقى لصورة الجسد لدى الجانح، بحيث يرضى عن هذه

الصورة ويتقبلها، ويراها كما هي، ويعمل على تحسينها، فرمما هناك عاهة ما

لدى الشخص، فمهمة هيئة التأهيل مساعدته على تقبلها والتكيف معها.

٣ — إعادة بناء مفهوم حقيقى لمشاعر الشخص نحو ذاته، ولحاجاته الملحة، فمسن

الطبيعي أن تتكون لدى الشخص مشاعر إيجابية نحو ذاته، بمعنى آخر أن يحب

ذاته، ويتعد عن إبلامها وتقريعها وإبذائها بأساليب مختلفة لأن الجانح عادة

يعتدي على ذاته أولاً قبل أن يعتدي على الآخرين.

٤ — العمل على أن تتوجه تحركات الجانح ومهاراته لتقترب من ذاته أكثر فأكثر

بحيث يحدد أهدافه وطموحاته تبعاً لإمكاناته.

٥ — العمل على أن يتواصل الجانح مع ذاته بشكل إيجابي، كأن يعمل على العناية بنفسه وتطويرها بشكل دائم على الصعد كافة الجسدية والنفسية والاجتماعية والمادية، ولكن بطرائق صحيحة ومشروعة ومقبولة اجتماعياً (Fixsenetal, 1973, 36).

إشباع الحاجات النفسية الملحة للجانح:

هناك تعريفات كثيرة للحاجات عموماً وللحاجة النفسية خصوصاً ولعل تعريف (Murpy مورفي) يعبر عن هذه الحاجة خير تعبير فهو يرى أنها: حالة من الافتقار إلى شيء ما، بحيث إذا تواجد هذا الشيء؛ تحقق الإشباع والرضا (الأحمد، 2001، 100).

وفي ضوء تعريف مورفي للحاجة عموماً يمكن أن أعرف الحاجة النفسية بأنها: افتقار الشخص إلى الحب والعطف والانتماء وغيرها من الأمور التي إذا ما أشبعت تؤدي إلى شعور الفرد بالراحة والسعادة والرضا، والقدرة على توكيد الذات وتحقيقها وإعلاء مكانتها.

ولو دققنا في هذا التعريف ملياً لوجدنا أن الجانح يفتقر في الغالب إلى الحب والعطف والشعور بالأمن والانتماء، وبالتالي فهو لا يشعر بالسعادة والرضا، بل على العكس يشعر بالتعاسة والألم والضيق وغيرها من الأمور التي يمكن أن تؤدي به إلى أن يحتقر ذاته وينظر إليها نظرة دونية، بدلاً من أن يراها على حقيقتها ويعمل على إعلانها.

وأود أن أشير إلى أن إشباع هذه الحاجات للشخص يجب أن يبدأ منذ الولادة، بل وربما قبلها لأن الطفولة الآمنة المشبعة، المحبوبة والمستقرة عاطفياً تعد حواز السفر السليم للدخول إلى مرحلة المراهقة والشباب باطمئنان ودونما خوف أو قلق (الأحمد، 2001، 87).

إن من يقوم بعملية التأهيل النفسي للجانح يدرك أنه يركز على الوقاية أكثر من العلاج لأن إشباع الحاجات النفسية المبكر والدائم يقي الأبناء من الانزلاق في المخاطر وممارسة الانحراف بأشكاله المختلفة.

١ — إشباع حاجة الجانح إلى الحب:

تنطوي هذه الحاجة على قبول الشخص وتقبله كما هو سواء من الناحية الجسدية أو العقلية أو الاجتماعية، أما مصدر الإشباع فيأتي بالدرجة الأولى من الأبوين والأخوة والأقارب ثم من المعلمين والزملاء والأصحاب في المدرسة.

وغالباً ما تكون الحاجة إلى الحب عند الجانحين غير مشبعة، فالأبوين يرغبان دائماً بأن يكون ولدهم أفضل إنسان في الدنيا، وهذه رغبة مشروعة ولكن الصعوبة تكمن في تحقيقها وفي جعلها شرطاً ضرورياً كي يحصل على حبهما وعطفهما وفي ذلك خطورة على الأبناء بشكل عام، لأن المطلوب من الأهل أن يروا الابن على حقيقته، ويطالبونه بأن يحقق ذاته في ضوء إمكاناته واستعداداته ورغباته وليس في ضوء رغباتهم فقط، وعليهم أن يغدقوا الحب على أبنائهم ويعبرون عن هذا الحب إيجابياً بشكل لفظي ومادي، وبغض النظر عن هذه الإمكانيات ويتعدون عن مقارنة الأبناء ببعضهم البعض، أو بأقربائهم، ويساعدوهم على استثمار إمكاناتهم وطاقاتهم، ويعملوا على إبراز الإمكانيات والإنجازات الإيجابية لديهم قدر الإمكان.

ولا شك أن الأهل عموماً يحبون الأبناء، ولكن كثيرون منهم لا يحسنوا التعبير عن هذا الحب، ولا يدركوا أنه حاجة ماسة لا تقل عن حاجتهم إلى الطعام والشراب والكساء، بل هي أكبر وأهم من هذه الحاجات بكثير، فالطفل مثلاً يستطيع أن يستغني عن وجبة من الطعام لكنه لا يستغني أو يتنازل عن حاجته إلى الحب والعطف تحت أي ظرف كان.

إن التأهيل النفسي للجانح يقتضي من الأهل والمرين عموماً إعادة إشباع هذه الحاجة بشكل دائم ومناسب، ودون شروط مسبقة، لأننا نعتقد أن الحرمان من الحب هو أحد الأسباب الرئيسة لحدوث الجنوح.

٢ — إشباع حاجة الجانح إلى الأمن والاستقرار:

ترتبط الحاجة إلى الأمن بالحاجة إلى الحب، فالحب يولد لدى صاحبه شعوراً بالأمن والاستقرار، ولا سيما الأمن النفسي الداخلي والشعور بالرضا الذي يجنب النفس المخاطر والآلام ويؤدي إلى الاسترخاء والراحة، بل وحتى إلى الشفاء من الأمراض النفسية والجسدية في كثير من الأحيان.

إن التأهيل النفسي للجانح يقتضي من الأهل والقائمين على عملية التأهيل إشاعة الدفء والحنان داخل الأسرة، ومن هنا كان للوالدين أثر فعال في حياة أبنائهما وكان لعلاقتهم الدافئة وسعادتهما علاقة قريبة ومباشرة بسعادة الأبناء.

يبدأ أن الجو المضطرب في الأسرة يسيء إلى نمو الأبناء، وينحو بهم نحو الشذوذ والعنف والتوتر الدائم، فالأب مثلاً عندما يتعصب لجيله ويتزمت لأرائه، ينأى بعيداً عن صداقة أبنائه والاقتراب منهم، ويقوم بينهم حواجز وحدود تحول دون فهمه لخصائص نموهم الأساسية، وتؤدي إلى انعدام الثقة التي تعيق عملية النمو السوي لديهم وهيئ المناخ لانحرفاتهم وشذوذهم وارتكابهم سلوكيات مضادة للمجتمع.

٣ - إشباع حاجة الجانح إلى الانتماء: *Sense of Belonging*

ترتبط هذه الحاجة بالحاجة إلى الأمن والاستقرار والحب، ويبدأ الانتماء أولاً للوالدين والأسرة ثم إلى المدرسة، ثم إلى الجماعات غير النظامية، كالفرق والنوادي والجمعيات، والشلل الخاصة، ثم إلى الجمعيات النظامية كمنظمات الطلاب والشبيبة وغيرها من المؤسسات الأخرى، وصولاً إلى الانتماء للوطن الأكبر.

والتأهل النفسي الاجتماعي للجانح يقتضي من الأهل والمربين عموماً إشباع الحاجة إلى الانتماء لديه، حتى يستطيع أن ينتقل من الأنوية والتمركز حول الذات إلى الغيرية وإلى تفضيل المصلحة العامة على الخاصة.

والجانح بحاجة إلى الشعور بالمركز الاجتماعي، بمعنى أن يكون معترفاً به، وأن يصغى له، وأن يلقي تقدير آباءه ومعلميه وأقرانه، وهذه النتيجة طبيعية للشعور بالانتماء إلى جماعة يحظى بمكانة خاصة فيها، ويشعر بأنه لا مجرد محبوب أو مرغوب فيه أو مقبول بل إنه مطلوب Being needed، وأن وجوده ضروري بالنسبة لشخص أو أشخاص آخرين (عن دسوقي، 1979، 142).

ولا بد من الإشارة إلى أن الحاجة إلى الانتماء هي من أهم العوامل التي تخلق دافعية لدى الإنسان كي يعمل وينجح في الحياة، ويكون شخصيته العاملة والمنجزة، ولكن ليس لوحدها بل مع الآخر ومن أجلهم.

ويحتاج الجانح أيضاً إلى الشعور بأن يكون كالأخرين to be like other people أي أن يشعر أنه في مستوى بقية زملائه وأصدقائه الذين ينتمي إليهم، والذين يقبلونه لا على أنه غريب ومختلف عنهم، بل على أنه قريب منهم ويشبههم.

ويحتاج الجانح كذلك إلى إشباع حاجة التوافق مع الآخرين to adjust to other people خارج الأسرة، كما هو بحاجة إلى التوافق داخلها.

وتتطلب عملية التكيف النفسي الاجتماعي كذلك، تكيف دوافع الجانح الداخلية ومشاعره وأفعاله، بحيث يتمكن من التلاؤم مع النمط السائد في ثقافة مجتمعه ويتدرب بالتدريب على تحمل المسؤولية، والاعتماد على الذات، ويتعلم حرية التعبير عن الرأي، واستثمار المواهب والميول بشكل إيجابي.

وترتبط الحاجة إلى الانتماء بحاجات أخرى، مثل الحاجة إلى الاعتراف بالجنس (ذكورة وأنوثة) وقبوله، والتدريب على المهمات والمتطلبات المناسبة له، كما ترتبط بالحاجة إلى الاعتراف بالسلطة والقوانين، والتوافق معها، كنتيجة لإشباع حاجات الأمن النفسي والمركز الاجتماعي والانتماء (عن دسوقي، 1979).

وظالما أن الحاجة إلى الانتماء واحدة من أهم الحاجات النفسية والاجتماعية، فعلى القائمين بعملية التأهيل من اختصاصيين ومرشدين نفسيين ومرين أن يساعدوا الجانح في اختيار أصدقائه ورفاقه والجماعات التي ينتمي إليها بشكل مناسب، وأن يمكنوه من الابتعاد عن رفاق السوء، والمنحرفين عموماً، وإن اقتضى هذا الأمر في بعض الأحيان تغيير بيئة الجلفح المتزلة والمدرسية، والانتقال إلى بيئة أخرى صحيحة من الناحيتين النفسية والاجتماعية حيث يبدأ يكون حياته من جديد ويكون كذلك جماعات مرجعية جديدة وجيدة ينتمي إليها.

الإجراءات العملية لتأهيل الجانحين من الناحيتين النفسية والاجتماعية:

تتطلب هذه الإجراءات إعادة تربية، وتأهيل نفسي واجتماعي يتجلى في مظاهر أساسية ثلاثة متداخلة ومتكاملة هي أولاً: تفكيك تكيفات الجانح الماضية، ثم إعادة تكيفه من جديد وأخيراً شخصيته، أي منحه الفرصة لاكتساب شخصية إنسانية متميزة وفن معطيات جديدة (شازال، 1972، 101).

وتأخذ إعادة التربية منح ثلاث هي: المنحى الوقائي، والمنحى العلاجي الفردي أو الجماعي، والمنحى المهني التنموي.

١ - المنحنى الوقائي:

تبنى الخطط والبرامج الوقائية للجائحين على أساس تعديل وإصلاح اتجاهاتهم النفسية بحيث تتجه نحو الواقعية، وتنحو بهم نحو السواء.

وتقوم برامج الوقاية من الانحراف والجنوح على أسس عدة أهمها:

١ - دراسة الظروف الاجتماعية والمشكلات العامة والفردية، والخلافات العائلية والعمل على حلها بالطرق الصحيحة والمقبولة لدى الأكثرية.

٢ - دراسة طرق استثمار القوى العاطلة عن العمل، وتأمين أعمال مناسبة للعاطلين، لأن البطالة هي من أهم العوامل التي تؤدي إلى الجنوح.

٣ - مراقبة سلوك الأحداث والمراهقين، وحمايتهم من رفاق السوء، ومن خلال مراكز خاصة بعملية المراقبة أو الملاحظة.

٤ - الإسراع في وضع الأحداث المنحرفين في إصلاحيات أو مؤسسات خاصة يعمل فيها فرق من المشرفين والاختصاصيين النفسيين والاجتماعيين والتربويين.

٥ - امتناع وسائل الإعلام عن عرض الإعلانات الخاصة بالجرائم والانحرافات عن طريق الأفلام والمسلسلات (عن الحلبي، 2000، 450 - 451).

٦ - إنشاء لجنة فنية مشتركة لإدارة أجهزة مكافحة انحراف الأحداث، تضم ممثلين عن الشرطة والنيابة والمحكمة والشؤون الاجتماعية والاختصاصيين النفسيين.

٧ - إيجاد مراكز متخصصة للأبحاث الاجتماعية والجناحية والإحصائية مهمتها وقاية الناشئة، من كل ما يمكن أن يهدد نفوسهم وعقولهم، ويلوثها بأفكار بعيدة عن قيم ومعايير مجتمعهم، وذلك من خلال استثمار النتائج التي تؤول إليها هذه الأبحاث.

٨ - إيفاد المعنيين بشؤون الأحداث لدورات علمية وخبرية متخصصة إلى الدول المتقدمة التي حققت خبرة مشهودة في مجال رعاية الأحداث، بغية الإطلاع واكتساب مزيد من الخبرة في هذا المجال.

- ٩ - تعيين كادر فني متخصص برواتب مناسبة ومشجعة، ليتفرغ العاملون فيه لعملهم الإنساني بحماسة وصدق.
- ١٠ - استصدار تشريع يلزم المؤسسات العامة باستخدام الأحداث وتشغيلهم بعد خروجهم من مؤسسات الرعاية.
- ١١ - إصدار تعليمات مشددة بعدم فصل التلاميذ من مدارسهم إلا في حالات نادرة جداً.
- ١٢ - تمثين أواصر التعاون والتفاهم بين الأسرة والمدرسة والمجتمع، عن طريق مجالس الآباء والأولياء، شرط أن تكون هذه المجالس فاعلة لا شكلية.
- ١٣ - الحد من ظاهرة التسرب في المدارس وتفادي الأساليب المؤدية إليها سيما وأن الإحصاءات قد دلت أن أكثر الجانحين هم من اليافعين الذين تركوا المدرسة بشكل مبكر.
- ١٤ - تأمين خدمات التوجيه والإرشاد النفسي والاجتماعي والستريوي، وتعيين اختصاصيين من هؤلاء، في كل مدرسة، وفي المراحل كافة، لأن هؤلاء يمكن أن يساعدوا أكثر في مواجهة مشكلات الطلبة والحد منها قبل أن تستفحل.
- ١٥ - إحداث معاهد إصلاحية جديدة إضافة إلى الموجودة، متخصصة بتأهيل الجانحين على أن يتم التمييز فيها أو الفصل بين جانحين عرضيين أو مؤقتين، ممن ارتكبوا جرائم بسيطة، وجانحين ارتكبوا جرائم كبيرة، كالقتل والسرقه، وتعاطي المخدرات.
- ١٦ - إحداث المزيد من النوادي والمؤسسات الاجتماعية والترفيهية للأحداث، لقضاء أوقات فراغهم فيها، وممارسة هواياتهم المفضلة، الرياضية والموسيقية، ويمكن تخصيص بعض النوادي للعائدين من المراكز التأهيلية لحمايتهم من الانتكاس والعودة إلى الانحراف من جديد (عن كريز، 1980، 260 - 259) ولكنني أفضل شخصياً أن ينخرطوا في النوادي والمؤسسات الاجتماعية والترفيهية للأسوياء.

٢ - المنحى العلاجي:

يتطلب هذا المنحى إجراءات عديدة أهمها:

أ - إعادة تنظيم الوسط التربوي الخاص بالجناح:

تقتضي إعادة التنظيم إحداث تغييرات أساسية نحو الجناح في اتجاهات المحيطين به، من أبناء وأخوة وأقارب ومعلمين، إذ يكون على هؤلاء أن يرفضوا السلوكات الشائنة، والمضادة للمجتمع التي تصدر عن الجناح رفضاً تاماً، ويعلموه أنهم يعترفون به فقط، عندما يبدي الندم على سلوكاته هذه ويعلن استعداداه للتخلي عنها بشكل نهائي، ويقدم أدلة وقرائن على عودته إلى السلوك الاجتماعي السوي من خلال ممارسة نشاطاته وعلاقاته اليومية.

بيد أن إعادة تنظيم الوسط التربوي للجناح لا تعني إحكام الرقابة على سلوكاته وحسب، بل تتطلب أن يحاط برعاية أسرية ومدرسية كاملة، كما سبق وأشارت، فنشبع حاجاته المادية والنفسية، ونحترم آرائه وقراراته، ويشترك في المناقشات التي تدور لحل مشكلات الأسرة، ويتحمل بعض المسؤوليات التي تناسب إمكاناته، ويستطيع عن طريقها إثبات ذاته وتحقيق أهدافه (عن الهمشري، والحواد، ومحمد، 1997، 50 - 51).

ب - إعادة تعليم الجناح:

لا بد في هذا السياق من العمل على محو آثار التعلم السابق، والخبرات السابقة التي أدت بالحدث إلى الجنوح، والتخلص منها بشكل نهائي - وذلك باستخدام تقنية المحو والإطفاء الإشرافي - لأنها بالتأكيد خبرات خاطئة لا يقرها الدين أو العرف، أو القانون، فهي تنطوي على عدوان على الجناح ذاته، وعلى أمن وسلامة الأفراد المحيطين به، وصولاً إلى أمن وسلامة مجتمعه ككل (Jersild & Brook, 1978, 93 - 94).

وبطبيعة الحال، فإن عملية محو الخبرات ليست بالعملية السهلة، بل هي غاية في الصعوبة ولها متطلبات وأسس أذكر أهمها فيما يلي:

١ - مساعدة الجناح على أن يمتنع عن إشباع حاجاته بالطرائق الخاطئة السابقة التي كان قد تعلمها، وتوجيهه نحو طرائق بديلة سليمة وصحيحة.

- ٢ — رفع التعزيز الذي كان يتلقاه الجانح بشكل مقصود أو غير مقصود، من أسرته ومحيطه، عن السلوكات والخبرات الحافظة التي كان يمارسها.
- ٣ — إعطاء الجانح قدر مناسب من المال يتصرف به، بحرية وتحت إشراف الأهل، ليشتري به بعض حاجاته الخاصة، من ألعاب ومأكولات وملابس وغيرها ...
- ٤ — اقتصار البرنامج التعليمي للجانح على المواد التي يميل إليها وينجح في تحصيلها، وتقديم مكافأة له مادية أو معنوية، كلما حقق خطوات إيجابية في برنامجه.
- ٥ — العمل على إقامة علاقات طيبة بين الجانح والمسؤولين عن إعادة تعليمه وتأهيله وأن يكون لكل جانح مثل أعلى من بين هؤلاء يحدو حذوه.
- ٦ — إخضاع الجانح، عند الضرورة، للإرشاد والعلاج النفسي في مراكز متخصصة، مثل مركز الجمعية السورية للعلوم النفسية والتربوية، والمراكز النفسية الطبية، لفترات قد تطول أو تقصر، وذلك حسب الحالة، حيث تعقد مقابلات منظمة بين المرشد والجانح، يشارك فيها الآباء وأولياء الأمور عند الحاجة، ويجري من خلالها، دراسة تفصيلية للحالة وتاريخها وأسبابها، ثم يخضع الجانح لبرنامج إرشادي علاجي مناسب إثر تحديد المشكلة وتشخيصها، وقد يتخلل البرنامج تطبيق بعض الاختبارات الخاصة بقياس الذكاء والقدرة العقلية، واختبارات أخرى خاصة بالسماوات الانفعالية، وعندما تنتهي فترة الإرشاد أو العلاج يفترض أن يبقى الجانح على اتصال بمركز الإرشاد، بغية متابعة تطور الحالة، وتفادياً لعمليات الانتكاس التي يمكن أن تحصل (Hertherington & Parke, 1976, 210).

٣ — المنحى المهني التنموي:

إن تعلم مهنة، أو الدمج الطبيعي للمراهق في حياة العمل، يشكل بحد ذاته إجراء شفافياً سيكو اجتماعياً (Mussen & Kagan, 1984, 133).

ولا تعني إعادة تربية الجانح فقط إعادة تكيفه مع الحياة الاجتماعية عن طريق تربية أنماط سلوكية معينة لديه، ولكن — وضمن حدود الإمكانيات — تعني دمجها في المجتمع، لتشجيع تفتحها ونموه، وإثارة مظاهر الوعي لديه، وجعله يعيش المواقف بشكل حي، وبقدر ما يعي

نفسه ومكانته في المجتمع، بقدر ما يرتقي تدريجياً إلى وضعه الإنساني، فسيفرض أو يختار أو ينتمي، أي يصير باختصار مسؤولاً (شارال، 1972).

ويتعلم الجانح قيمة العمل، وتحمل مسؤوليته، من خلال إعداده وتأهيله لمزاولة مهنة مناسبة لإمكاناته، يتقاضى عليها أجراً مقبولاً، ويشعر من خلالها بقيمته وبأهمية استقلاله المادي، واعتماده على ذاته، كما يشعر أنه يسهم من خلال عمله في بناء وتطوير مجتمعه، لكن لا بد قبل ذلك من إتاحة الفرصة له كي يتعرف على عالم المهن والإنتاج في بيئته، ويتهيأ للعمل فيها في المستقبل، ويبدأ يشارك في بعض برامج التأهيل المهني المتوافرة والمتاحة.

ويعد التأهيل المهني للجانح ضرورة ماسة يحميه من التسكع والتشرد، ويؤهله لممارسة مهنة مفيدة له ومجتمعه، ويقيه من الانتكاس الذي يمكن أن يتعرض له، فالانتكاس أشد خطراً من الجنوح بحد ذاته، فهناك كثير من الأحداث الجانحين الذين أعيدت تربيتهم، تحولوا إلى انتكاسيين، لأن أحداً لم يمد لهم يد المساعدة الاجتماعية أو النفسية أو المهنية بعد خروجهم من المؤسسات التأهيلية الإصلاحية، ويمكن أن تصل نسبة الانتكاس إلى 30% أو أكثر، ولكن هذه النسبة يمكن أن تنخفض كثيراً، عندما تكون وسائل وتقنيات إعادة التربية والتأهيل، متكاملة ومتنوعة تأخذ بالاعتبار المناحي الثلاث التي تحدثنا عنها الوقائية والعلاجية والمهنية، ولا بد أنها تؤدي في النهاية، ليس فقط إلى تأهيل الجانح، بل إلى تنميته وتطويره ودمجه في مجتمعه (عسن: شارال، 1972، 131).

* كلمة أخيرة:

واقع الأمر، أن عملية تأهيل الجانحين نفسياً واجتماعياً ومهنياً عملية شاقة، تعترضها صعوبات كثيرة — لست بصدد الحديث عنها الآن — ولكن، لا يمكن تذليل هذه الصعوبات، إلا بتضافر جهود كل الجهات المعنية الرسمية وغير الرسمية.

ثمّة أمر آخر أريد أن أشدد عليه، قيل أن أهمي هذه الدراسة، وهو أن مناحي التأهيل الثلاثية، الوقائية والعلاجية والتنموية التي تحدثت عنها متداخلة ومتكاملة ومتراصة إلى أقصى الحدود، فليس المفروض أن تنتظر كي تنتهي من العمل في منحنى أو جانب، لننتقل إلى المنحنى الآخر، بترتيب قاسي وحرفية مطلقة، بل يمكن أو حتى يجب العمل في المناحي الثلاثة دفعة واحدة، وذلك حسب مقتضيات الحال، وحسب الإمكانيات المتاحة.

المراجع المعتمدة

- ١ — الأحمد، أمل: (2001) بحوث ودراسات في علم النفس، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان.
- ٢ — الأحمد، أمل: (2000) مفهوم الأنا والآخر، بحث مقدم لمؤتمر ثقافة الطفل العربي في القرن الواحد والعشرين، مصر، كلية الآداب، بها 25 - 27 آذار.
- ٣ — حسن، محمد بيومي علي: (1987) الأحداث الجانحون وتنشئتهم الأسرية، بحث منشور في مجموعة بحوث المؤتمر الثالث لعلم النفس في مصر 26 - 28 يناير، الجزيرة، مركز التنمية البشرية والمعلومات.
- ٤ — دسوقي، كمال: (1979) النمو التربوي للطفل والمراهق، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت.
- ٥ — الرفاعي، نعيم: (1979) الصحة النفسية، ط ٥، مطبعة ابن حيان، دمشق.
- ٦ — زهران، حامد عبد السلام: (1977) علم النفس الاجتماعي، عالم الكتب، القاهرة.
- ٧ — زهران، حامد عبد السلام: (1990) علم نفس النمو، عالم الكتب، القاهرة.
- ٨ — فهمي، مصطفى: (1979) التوافق الشخصي والاجتماعي، مكتبة الخانجي، القاهرة.
- ٩ — الهاشمي، محمد عبد الحميد: (1976) علم النفس التكويني، مكتبة الخانجي، القاهرة.
- ١٠ — الهمشري، محمد علي، وعبد الجواد، ووفاء محمد، ومحمد علي إسماعيل: (1997) مشكلة الأطفال الجانحين، مكتبة العبيكان، الرياض.
- ١١ — صفر، الحلبي، موفق هاشم: (2000) الاضطرابات النفسية عند الأطفال والمراهقين، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.
- ١٢ — كرز، أحمد محمد: (1980) الرعاية الاجتماعية للأحداث الجانحين، مطبعة الإنشاء، دمشق.
- ١٣ — شازال، جان: (1972) الطفولة الجانحة، ترجمة أنطوان عبده، ط ١، منشورات عويدات، بيروت، لبنان.

المراجع الأجنبية

- 1 – Fixen,d., Phillips, E. & Wolf, m. Achievement Place, Experiments in Self – Government with Pre – Delinquents, Journal of Applied Behavioral Analysis, (1973) pp. 31 – 49.
- 2 – Hertherington, E. & Parke, R: (1979) Child Psychology Acontemporary View Point, London, Mcgraw – Hill International Book Company, second edition.
- 3 – Jersild, A. Brook, J & Brook, D. (1978) The Psychology of Adolescence, New York, Macmilla Publishing co. inc, third edition.
- 4 – Mussen, P. Conger, J & Kagan, J (1980): Child Development & Personality, New York, Harper & Row Publishers, sixth edition.